أرض البُجَة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية
٢٤١هـ - ٢٦٠هـ/ ٨٥٤ م-٨٧٣م"

شيماء عبد الحميد البنا
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب ـ جامعة دمنهور

المُلخــص :

أعنى بهذا العُنوان السكان الأصليين الذين يعيشون بهذه المنطقة،والذين سُمى المكان باسمهم، فهم حراس له . لذا فإن العُنوان ينقسم لقسمين، الأول منهما صراع البُجة مع المسلمين وأراضيهم وهذا هو التحدي، والثاني رد فعل المسلمين على جرائم البُجة عليهم، وقيامهم بحملات إلى بلادهم نتج عنها تفوق حربى ترتب عليه صراع بين المسلمين وبعضهم البعض فهذا العنوان عبارة عن سلسلة متصلة ببعضها البعض.

كما أعنى بفترة البحث "٢٤١هـ-٢٦٠هـ/٨٥٤م - ٨٧٣م" فترة مهمة في عصر الدولة العباسية حيث إنها تواكب جزءًا من العصر العباسي الثاني "٢٣٢هـ/٣٤٣هـ، ٨٤٧م- ١٠٥٥م" وهو عصر الأتراك وطلائع الانهيار، وعهد الفتن والحروب الداخلية؛ فهي فترة صعبة على الدولة الإسلامية، وأي تهديد لها مهما كانت صورته يمثل خطرًا شديدًا عليها، وأي مجهود يُحسب لها .

Abstract

Albeja as a Center of Islamic Political Conflicts : AH 241-260 / CE 854-873

Is meant by the power conflict of the Islamic forces Abbasid caliphs, governors and leaders in Egypt and the Arab tribes in the region of Albajat. "The meaning of the Bejaa Beja or Beja from 241 to 854 A.D

The beginning of the research FROM the campaign of Mohammed bin Abdullah al-Qami BECAESE OF bajah REVOLT AND raids, IN year "260 e-873 m end of the search because the history of the last invasions of the Bejes on Egyp in THIS TIME and e the commander Abdul Hamid bin Abdul Aziz bin Abdullah bin Omar bin The speech, was able to INVAD their country and control them and continued raids until they gave him Al gazia and they did not pay before This was the result of the above Threaten the areas of influence of Muslims in southern Egypt, and threaten their interests there too, and this is the biggest threat faced by the Islamic Caliphate in that period of the south.

The age of the Abbasid caliph al-Mutawakil (205 AH / 247 AH) was the beginning of change. After twenty years of peace and reconciliation between the forces of the Muslims and the tribes of the Bejaat. matter turned into armed conflict and military repression when the Bejate declares their disobedience and their refuse to perform the obligatory tribute. Hence, Muslims are aware of this danger, which threatens Egypt from the south and they began expecting the strikes of the Bajate at any time on the borders of Egypt. Therefore, al-Mutawakel did not wait very long and immediately convened a council for Muslim consultation on this matter . They refused to send any campaigns to address this danger for many reasons, the most important of which are the people of

Bajate can stand and live in deserts. Muslims fighting there to return the brags to this life and the difficulty of living Muslims, and the Council stated that the distance between Muslim countries and country The large beards may reach a month's march, which will kill the soldiers before reaching there; so al-Mutawakel amended his idea and sent a campaign to discipline them. But what happened next? Did Al-Mutawakel resort to other forces to deal with this danger? Or leave it to others? Or did he confront them himself.

The research will discuss the main reasons behind the hostility of the tribes AlBejat against the Islamic power in general and the Egyptians in particular, and why threaten southern Egypt and spread panic in the hearts of Egyptians. Which led the Abbasid caliphs to send disciplinary campaigns to the tribes of the Bejaat to show the prestige of the caliphate and its brutality, such as the campaign of Mohammed bin Abdullah al-Qomi

On the other hand, there is the power of the Tulunian state as one of the political forces that deal with the Bejaat, and there was a bloody history between them. The first line was the tribes of the Bejat. The Tulunid state responded with violence and cruelty commensurate with the crimes they committed against the Muslims. Revolutions and wars may be renewed from the brave in order to announce their existence and spread fear and panic in the hearts of the Egyptians. Arab tribes as one of the political forces active and present on the scene strongly, the relationship Bjajat was of a special case and puzzled between politics, Hence the idea of research..

مقدمـــــة:

كما أن عناصر الدراسة تميل إلى الحديث عن أرض البجة أكثر من حديثها عن شعب البُجة؛ رغم أن علاقة الإنسان بالأرض علاقة مكملة لبعضها البعض،ولا داعى لوجود الأرض بدون الإنسان، لكن الغريب أنهما–الإنسان والأرض– موجودان ولا علاقة بينهما؛ فإن الثروة الحقيقية متمثلة في هذه الأرض، فهذا الشعب فقير في ظاهرة غنى في باطنه. ولذلك كان حريصًا كل الحرص على عدم معرفة أحدٍ ببلاده ومسالكها، وتأكيد الصورة الخارجية المأخوذة عنه؛ بأنه شعب همجي مما يجعل الشعوب والأمم في حالة استهزاء وسخرية منه، وعلى الرغم من ذلك هم(البجة) يريدون التوغل والدخول في البلدان المجاورة لهم، ومما يثبت ذلك قيام رئيسهم "محا" بالدخول في مدينة قُفط[١] وقيام أهلها بإكرامه، وكان يرأسهم إبراهيم القفطى [٢]، الذى أراد الذهاب للحج مرورًا بأرض البجة مما يجعله في حاجة إلى من يعينه ويهديه الطريق من البُجاه، فطلب المساعدة من رئيس البجة الذى قام بدوره بإرسال جماعة من البجيين لصَحبته في تلك الأرض أثناء رحلته.

لكن هذه الرحلة أسفرت للبجيين عن خبرة القفطيين ومعرفتهم الكبيرة بأرضهم مما أثار مخاوفهم–البجيين–؛ فاجتمعوا على الفور حول رئيسهم، وطالبوه بقتل هذا القائد لمعرفته بديارهم ومفاوزهم ومَظان مياههم، وعدم الاطمئنان له؛ فَرَّدهم عن مرادهم، لكَنهم لم يستجيبوا لكلامه وغلبوا رأيه، واتفقوا على إتاهة القفطى فأتاهوه فمات عطشًا هو ومن معه عدا ابن صغير له نجا، وأوصله بعض البجة إلى قفط .

---

١) قُفط: بضم القاف والقُفط هو ما ارتفع من الأرض، وهى مدينة بالصعيد الأعلى وليست على ضفة نهر النيل وفيها أسواق وأهلها أصحاب ثروة والغالب على معيشتهم التجارة والسفر إلى الهند . (أبو عبدالله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الأول، د.ت، ص١٢٨/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، د.ت،ص١٥٢./عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفداء "ت٧٣٢هـ"، تقويم البلدان،دار صادر ،بيروت،ص١١١).

٢) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم القفطى أصلهم من الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الرابع، د.ت،ص١٥٢.

وكان رد فعل القفطيين على ذلك الحادث أنهم استغلوا فرصة عودة رئيس البُجة للزيارة مرة أخرى، وانقضوا عليه وقتلوه ومن معه، وما أن علم البجة بما حل برئيسهم حتى هاجموا مدينة قفط، وأسروا من فيها، وقتلوا عددًا كبيرًا منهم مما جعل أهل قفط يفرون ناحية الغرب نحو الفسطاط لرفع شكواهم لوالى مصر عبد الله بن طاهر الخراساني(١٨٢-٢٣٠هـ)[٣]، الذى رفض مساعدتهم وهنا ذهبوا إلى الحوف الشرقي بين النيل والبحر الأحمر لرجل من قبيلة قيس بن عيلان[٤] الذى قام بمساعدتهم واستطاع الهجوم على القفطيين وهزيمتهم واستقر هذا الرجل بالبجة فترة طويلة دامت حوالى ثلاث سنوات عام ٢١٢هـ/٨٢٧م[٥].

مما سبق يتضح:

- حِرص البُجة الشديد على عدم معرفة أحد بخيرات بلادهم حتى ولو وصلَ الأمر بهم لمحاربة من يحاول ذلك.
- وجود رئيس للبجة، لكن فى نفس الوقت لا كبير لهم؛ لجرأتهم عليه وعدم الامتثال لأوامره.
- رفض الوالي المصري للعداء البجاوى، يظهر ذلك في عدم مساعدته للقفطيين بحجة عدم استقرار الأمور خاصة أن مصر في تلك الفترة كانت في حالة استقرار وأمن داخلي، وتشهد حركة عُمرانية واسعة النطاق. مما يدل على قوة شوكتهم وأنهم قوة لا يستهان بها.

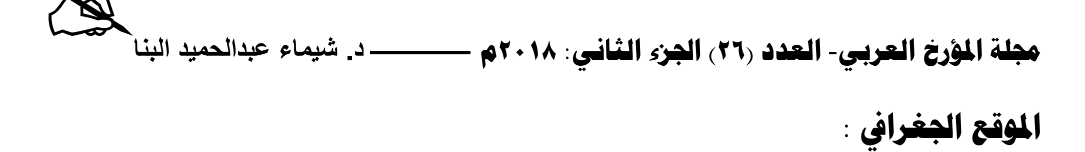
---

٣) عبد الله بن طاهر الأول الخراساني الفارسي الخزاعي، ثالث أمراء الدولة الطاهرية في خرسان. فؤاد صالح السيد، معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي الإسلامي، المنهل،٢٠١٠، ص٤١٥.

٤) بطن من بطون القبائل العربية في الحجاز، وهم قيس بن عيلان بن مضر، ومن أشهر قبائلهم هوازن وهم من أكبر قبائل العرب، منهم أناس في الحجاز وآخرون في نجد. (محمد على بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ص٢٣٧/ شكيب أرسلان، تاريخ ابن خلدون، د.ت، ٢٠١٢م، ص٢٩).

٥) أبو القاسم ابن حوقل النصيبى، صورة الأرض،مكتبة الحياة، بيروت، ص٥٧/ مصطفى مسعد، البجة والعرب في العصور الوسطى، المجلد ٢١، العدد٢، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ١٩٥٩، ص٢٨.

- حِرص البجاوى على الابتعاد عن أي أجنبي؛ لأن كل أجنبي عرفوه جاء إلي بلادهم طامعًا في أرضهم و ثرواتها. وقد كان بقاء البُجه علي هذه الهيئة أمرًا مثيرًا للعجب، ويرجع ذلك لأسباب عدة منها قسوة الحياة في المنطقة التي يعيشون فيها، وما كان لذلك من تأثير كبير على شخصيتهم المتميزة التي تطبعت بحياة بدوية حرة اقترنت بخشونة خالية من أي إحساس. لذلك ظل البجة علي امتداد تاريخهم الطويل في عزلة تامة غير خاضعين لأي سلطة مهما كان نوعها أو مصدرها، وبقوا مبعثرين في جبالهم وصحاريهم بعيدين كل البعد عن أي اتصال بالخارج محافظين بذلك علي حريتهم واستقلالهم غير عابئين أو مهتمين بما يجري حولهم. فهم لا يطلبون من هذا العالم أكثر من أن يتركهم وشأنهم. بل تزداد فرحتهم أثناء الحكومات الضعيفة في حين أنهم على العكس من ذلك. كما كان للبيئة أثر عظيم في عزلة هذا الشعب داخل الصحراء وحفظه بعيدًا عن المؤثرات الثقافية التي يموج بها وادي النيل، ونتيجة لتلك العزلة أصبح مميزًا بشكله الفيزيقي.



الموقع الجغرافي :

تمتد بلاد "البُجَة[٦] أو البجا أوالبيجة "من أسوان شمالًا إلى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة جنوبًا، ومن سواحل وتلال البحر الأحمر شرقًا حتى وادى النيل غربًا ويعتبر البحر الأحمر أكبر نافذة دخول لهذه المنطقة، حيث لم يكن في أي وقت من الأوقات حاجزًا مانعًا، من الاتصال بين شواطئه الآسيوية العربية وشواطئه الإفريقية؛ إذ لا يزيد اتساع البحر على المائة والعشرين ميلًا[٧] عند السودان ويبدو بهذا أنه ليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة كما أنه في الجنوب يضيق البحر الأحمر لدرجة كبيرة عند (بوغاز) باب المندب، حتى لا يزيد على عشرة أميال، وهو الطريق الذي سلكته السلالات والأجناس إلى القارة الإفريقية منذ آماد بعيدة. وهذا هو الموطن

---

٦) البُجة: بضم الباء وفتح الجيم وربما اشتق اسم Beja من الكلمة العربية badiya، مما يعني "سهل" أو "الصحراء". وهم أمة شديدو السواد عُراة يعبدون الأوثان كما أنهم أهل أمن ومراقبة للتجار الذين ينزلون ببلادهم، وهذا لغرضين الأول منهما الاستفادة من إمكانية هؤلاء التجار، والثاني خوفهم على ثروة بلادهم وموطنهم في جنوبي صعيد مصر مما يلى الشرق كما أن أهل البجة يجاورون الحبشة من الشمال. وقد نشر تاريخ القبائل التي تسكن الجبال والصحارى في شرق السودان لأول مرة في عام ١٩٥٤. (عماد الدين إسماعيل بن الأفضل أبى الفدا "ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م"، المختصر في أخبار البشر، الجزء الأول، القاهرة، ١٢٨٦هـ، ص٩٥/ شهاب الدين أحمد بن على القلقشندي، "ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس دار الكتب المصرية، القاهرة،ص٢٧٣/ سراج الدين بن حفص عمر بن مظفر بن الوردى "ت٨٦١هـ/١٤٥٧م"، خريدة العجائب، نشر Hylander، لندن ١٨٣٣م، ص١٦٣-١٦٨.

A. Paul, A History of the Beja Tribes of the Sudan, Cambridge University Press, 1954, p.16, Steven E. Sidebotham, Martin Hense, Hendrikje M. Nouwen The Red Land: The Illustrated Archaeology of Egypt's Eastern Desert, 2008, P.257.

٧) المِيل؛ هو مقدار مد البصر عند العرب من الأرض، ويُقدر بثلاث آلاف ذراع والذراع ستة وتسعون ألف إصبع، وهو وحدة قياس للمسافة تساوى تقريباً١٨٥٥متر. أحمد بن محمد الفيومى، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٨٧، ص٢٢٥-٢٢٦؛ على جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، القدس، القاهرة ٢٠٠١، ص٥٣.

الأصلي للبجة منذ أقدم العصور(٨). ويفصل بلاد النوبة عن بلادهم مجموعة جبال منيعة، بذلك نجد هذه الأمة تقع بين ثلاث قوى وهى العرب والحبش والنوبة .مما يعنى أن هذا الشعب بدوى وهمجي لكنه بالرغم من ذلك كان محضنًا للشعوب والحضارات(٩).

والبُجة قبائل "ونقصد كلمة قبيلة حيث إنهم في الغالب ينتمون إلى نسب واحد، فيرجعون لجد واحد،ولهم لهجتهم المميزة، كما أنهم يمتلكون عصبية ضد العناصر الخارجية". وكلمة "بُجة" مشتقة من كلمة "المجّا" وتعنى الحارس أو المحارب، حيث كانت مهمة هذه القبائل مقتصرة على الحرب وحراسة حدود الصحراء، وقد عرفت هذه القبائل قديمًا باسم المازاوى أو "الماجاوى"، والعرب هم الذين أطلقوا على القبائل التي تسكن الصحراء الشرقية جنوب مصر اسم "البُجة" أو

---

٨) عَرف العرب القبائل الحامية التي تسكن الصحراء الشرقية جنوب مصر باسم البُجة أو البجاة، والبجة لفظ حديث للقبائل القديمة التي كانت معروفة عند القدماء المصريين باسم ميجا وميجوى ومازوى واستعانوا بهم في مختلف الأعمال خاصة الجيش والشرطة، وينقسمون في الوقت الحاضر إلى أربع قبائل كبيرة البشاريون والأمرار والهدندوة وبنى عامر، وفضلًا عن هذه القبائل الأربع الكبيرةتوجد بعض القبائل الصغيرة مثل الأشراف والحلنقا وغيرهم، وهى قبائل مشهورة منذ أقدم السنين. (مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية العربية مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، طبعة أولى، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٢م، ص٢؛ مصطفى محمد عطية مسعد، البجة والعرب في العصور الوسطى،مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٢١،ج٢،١٩٥٩م، ص١/ربيع محمد الحاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة وآثاره الاقتصادية رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٧م، ص١٥-١٨.

H. A. MacMichaelThe Tribes of Northern and Central Kordofan, First Published in 1967. Routledge is an imprint of Taylor & Francis, an informa company,P.199.

٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٥.

Molefi Kete Asante, Ama Mazama, Encyclopedia of African Religion, V.1, 2009, p.117.

البِجا،واختلف المؤرخون في نسبهم؛ فبعضهم يرجعهم إلى حام بن نوح،في حين يرى البعض أنهم صنف من الحبش أو قبيلة منهم وقيل "بَلِيّ"(١٠) في حين يرى البعض الآخر أنهم يرجعون إلى بنى فزار(١١) الذين نفاهم أبو بكر الصديق فنزلوا ميناء عيذاب(١٢)، وهذا من أبعد الآراء لأنهم يعيشون في المنطقة قبل تولية أبى بكر سنة ١١هـ ويرى بعض المؤرخين أنهم يرجعون إلى سلالات مصرية. والأرجح أنهم يرجعون إلى ولد كوش بن كنعان بن حام نزلوا بين بحر القلزم والنيل "السودان" بعد الطوفان. فقد أثبتت الدراسات الأنثروبومترية ANTHROPOMETRY أنهم يرجعون إلى أولاد كوش بن حام، كما أوضحت مدى ارتباطهم بالمصريين القدماء (١٣) .

---

١٠) فرع من قضاعة من حمير، والمعروف أن هذه القبيلة كانت تنزل سيناء وامتدت مواطنها إلى برزخ السويس، ثم الصحراء الشرقية،وترجع مطالع هجرتهم إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد جاءت قبائل أخرى مع الفتح العربي لمصر من قبائل بلى .ويرجع لهم السبب في نشر المسيحية حتى صار أكثر البجة نصارى حتى جاءت الخلافة العباسية ونشرت الإسلام هناك. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤١٢-٤١٣/ محمد صادق الكرباسى، معجم المشاريع الحسينية، الجزء الثاني، د.ت، ٢٠١٠، ص٢٤/ مصطفى مسعد، المكتبة السودانية، ص١٢، حاشية ٢/إدريس بن إبراهيم جميل، الحَبابُ ملوك البحر وأهل السادة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص١٣٠.

١١) بطن من ذبيان بطن من غطفان كانت منازلهم بنجد ووادى القرى. (محمد أمين البغدادي السويدى سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٥.

١٢) يقع على ضفة بحر القلزم وهى مرسى السفن التي تقدم من عدن للصعيد. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٧٥١).

١٣) أبو القاسم بن حوقل النصيبى، صورة الأرض،ص٥٧/كرم الصاوي باز، مصر والنوبة في عصر الولاة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٢٩٣/عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، الجزء الأول، ٢٠١٣، ص٣١.

البيئة وأثرها في تشكيل الهُوية البُجيّة:

لأن الإنسان ابن بيئته فقد تأثر البجيّون ببيئتهم في تشكيل شخصيتهم وهُويتهم فكانت شخصية البجة قاسية يغلب عليها العنف في التفكير والمعاملة ولذلك هم يلجؤون للعُزلة (١٤).

فهم عبارة عن خلق كثير لا دين لهم ولا ملة، لا يؤمنون بنبي أو إمام وذلك لبعدهم عن العمران،فهم يسكنون صحراء طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ وليس في هذه المسافة الشاسعة سوى مدينتين صغيرتين، الأولى تسمى بحر النعام والثانية عيذاب، وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة، وذلك من الشمال إلى الجنوب وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلى الشرق ويقيم بها البجة، ورغم كل ذلك لم يكونوا أشرارًا؛ فلا يسرقون ولا يغيرون إلا عند الاقتراب من موطنهم بل يشتغلون بتربية ماشيتهم.. ويقال: إن الجمال النجيبة لا توجد في مكان آخر غير هذه الصحراء و تنقل منها إلى مصر والحجاز "(١٥). وكانت خيامُهم من الجلود وعلى الرغم من ذلك فإن البجة قوم بادية – جنس لا يرغب الشخص أن يكون أصدقاء أو أعداء له، وهم في تجوال وحركة مستمرة بين البلاد يتبعون الكلأ واذا وجدوا شيئًا ذا قيمة انقضوا عليه وسلبوه . ولكل بطن منهم رئيس، وليس عليهم متملِك ولا دين لهم(١٦).

---

١٤) أبو الحسن بن على المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه كمال حسن مرعى، الجزء الثاني، المكتبة العصرية،صيدا بيروت، ص١٣/ طالب جاسم حسن العنزى، البجة واندماجها في الدولة العربية الإسلامية،مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، المجلد الخامس،العدد الرابع عشر، العراق، ٢٠١١، ص١٥/ربيع محمد الحاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة وآثاره الاقتصادية رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٧م، ص١٥-١٨.

١٥) ناصر خسرو، سفر نامة،د.ت،ص٤٦-٤٧.

١٦) المقريزي، المواعظ والإعتبار ،ص١٩٤.

نظام التوريث عند البجيين:

كان البُجة يتبعون الشعوب الحامية في نظام التوريث حيث كانوا يورثون ابن البنت وابن الأخت وهذا النظام يعرف بنظام الأمومة Matrelineam system فأنسابهم من جهة النساء، وكان البجاه يركبون النجب الصهب – جمال فائقة السرعة يقومون بتربيتها– والجمال العراب،وكانت جمالهم تتصف بشدة العَدو– الجري– والصبر على العطش يسابقون بها الخيل يقاتلون عليها وتدور بهم كما يشتهون ويقطنون عليها من البلاد. وكان اعتمادهم في الغذاء على الألبان واللحوم وأكلهم للخبز قليل وسلاحهم الحراب السُباعية – مقدار طول الحديدة ثلاثة أذرع والعود أربعة أذرع لذلك سميت السباعية– وصُناع هذه الحراب نساء ومن عادة هؤلاء السيدات أنه إذا ولدت إحداهن جارية استحيتها وإن ولدت غلامًا قتلته بحجة أن الرجال بلاء وحرب .ودرقهم –التُرس [١٧] – من جلود البقر وهناك درق من جلود البقر يعرف بالأكسومة،وهناك الدهلكية –من دابة في البحر–[١٨].

<u>**ولكى نستكمل الحديث عن جُغرافية البُجة** لابد من التحدث عن ثروة أرض البُجة ونبدأ الحديث بالمعادن المخزونة في باطنها:</u>

١٧) عبارة عن صفحة من الفولاذ مستديرة بيضية الشكل تُحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات. (عبد الله ابن أحمد بن سليم الأسوانى "ت٣٨٦هـ"، أخبار النوبة والمُقرة وعَلوة والبُجة والنيل، د.ت، ص٢٦٧/المقريزي المواعظ والإعتبار، ص١٩٤).

١٨) بعض جماعات البجا تمارس الرعي البدوي، بينما يعيش البعض الآخر في مجتمعات مستقرّة. (عبد الله ابن أحمد بن سليم الأسوانى "ت٣٨٦هـ"، أخبار النوبة والمُقرة وعَلوة والبُجة والنيل، د.ت،ص٢٦٧/ المقريزي المواعظ والإعتبار، ص١٩٤علمًا بأن ابن سليم الأسوانى داعية من دعاة الفاطميين أرسله القائد جوهر الصقلي إلى بلاد النوبة ليدعو ملكها جورج للدخول في الإسلام وقام ابن سليم بتدوين كل ما شهده أو سمعه في كتابه أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، ونقل عنه المقريزى في كتابه الخطط انظر مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، ص٩١).

كانت أرض البُجة تحمل في أحشائها معادن كثيرة ثمينة، وكلما تصاعدت كانت أجود ذهبًا وأكثر مثل_"الزمرد" والزبرجد[١٩] أحد الأحجار الكريمة الذى يحتل المكانة الخامسة من حيث أهميته، وهو يوجد في مغاير "مغارة" بعيدة مظلمة يدخل إليها بالمصابيح، وبجبال يستدل بها على الرجوع ويحفر عليه بالمعاول[٢٠] فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم "جاهل بالأمور" دونه في الصبغ والجوهر والبجة يكتفون بمقاسمة من يعمل في هذه المعادن، ومن هنا كان التطلع لهذا المكسب، ويقول ابن الفقيه: أن جبل الزمرد من جبال البُجة موصول بالمقطم، وأن المقطم جبل مصر[٢١]. وهذا دليلُ قاطع على كثرته، وبذلك تستحق البُجة لقب أرض المعادن وليس بكثير عليها. كما يتبين لنا سبب الخلاف عليه بين المصريين والبُجاه حيث أن هذه المعادن يوجد جزء كبير منها داخل الحدود المصرية .

كما يتوافر بأرضها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطيس والمرقشيتا[٢٢] والجمشت Amethyst [٢٣] والزمرد وحجارة شطبا[٢٤] والذهب .

---

١٩) الزمرد والزبرجد:- اسمان يترادفان على معنى واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر بالجودة والندرة، وهى كلمة يونانية، أو فارسية الأصل، وهو حجر أخضر شديد الخضرة. (مصطفى مسعد،المكتبة السودانية حاشية رقم١، ص١١).

The Diagram Group, Encyclopedia of African Peoples, Routledge, 2013, p.18.

٢٠) المعاول:- آلة من الحديد يُنقَر بها الصخر، أَدَاةٌ تُحْفَرُ بِهَا الأَرْضُ.

٢١) يمر جبل المقطم على جانبي النيل إلى النوبة ويعبر من فوق الفيوم ويتصل بالغرب. ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى "٢٩٠هـ"، مختصر كتاب البلدان،، نشر بعناية المستشرق دي خويه، المكتبة الجغرافية، ص٦٠/ زكريا بن محمد بن محمود القزويني "٦٨٢هـ"، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠، ص١٨/ ابن اياس، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تقديم محمد زينهم محمد عزب، ص١٥٩.

٢٢) هما عبارة عن نوعان من الحجارة: الأول أصفر وهو سبيكة النحاس والخارصين والثاني فضي عبارة عن سبيكة من الفضة.

علمًا بأن رجال البجة لا يستطيعون الاشتغال في أماكن استخراج المعادن لحاجة هذه الأعمال إلى عمال محترفين يملكون الصبر الذى يفتقده البجويون، ولم يقتصر الأمر على المعادن فقط فقد كانت أودية البجة مليئة بشجر المقل – صمغ من شجر يشبه النخيل– والإهليلج –أعشاب مفيدة طبيًا– والأذخر – نبات عشبي صحراوي يمتاز برائحته الذكية – والسّنا – إحدى النّباتات المذكور فضلها في الأحاديث النّبويّة، فقد روي عن رسول الله –ρ–:

(عليكُم بالسَّنَى والسَّنوتِ فإنَّ فيهما شفاءً من كلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ قيل: يا رسولَ اللَّهِ وما السَّامُ؟ قال: الموتُ[٢٥]) وتستخدم في علاج كثير من الأمراض. وشجر البان – الذى يستخدم كمكمل غذائي – والشيح والحنظل. كما كان ببلادهم النخل وشجر الكرم والرياحين. وكان بها أيضًا الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة والدببة والطيور كالنقيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمام بازين، والحيوانات الغريبة مثل الكركدن الذى يهزم الأسد والفيل [٢٦].

---

٢٣) الجشمت: نوع من الأحجار الكريمة يقع على رأس الأحجار الكريستالة . (عاطف هلال، الموارد المعدنية وأفاق تنميتها حتى عام ٢٠٢٠، المكتبة الأكاديمية، ص٢٣٨).

٢٤) قطعة من الحجارة اذا دهنت بالزيت وقدت مثل القنبلة. (إدريس إبراهيم جميل،الحباب ملوك البحر وأهل السادة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص٢٩٦).

٢٥) محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ت٢٧٥هـ، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الطب، باب: السَّنَا والسَّنُّوت، ج٢، ص١١٤٤، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٦) ركن الدين المنصوري المصري بيبرس الدوادار "ت٧٢٥هـ"، الفكرة في تاريخ الهجرة،نسخة محفوظة مصورة بجامعة القاهرة ٢٤٠٢٧،ص١٨١/ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزي ت٨٤٥هـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزي، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ص١٩٤-١٩٧/ أحمد عبد الله بن إسحاق الأصفهاني ٤٣٠هـ"، موسوعة الطب النبوي، تحقيق مصطفى خضر، د.ت، ص٧٦).

والسؤال الذى يطرح نفسه: ما العلاقة الوطيدة التي تربط مصر بالبُجة والعكس ؟

أولًا: بحكم امتداد موطن البجة داخل الحدود المصرية، واستقرار بعضها على السواحل الغربية للبحر الأحمر صار بينهما صلات قديمة بمختلف العصور التاريخية. وبالرغم من ذلك نجد البجة لم تدخل في صراع عسكري مع المسلمين منذ الفتح العربي لمصر (٢٧).

وثانياً: حاجة الُبجة لأرض وشعب مصر خاصة صعيد مصر وحدودَها الجنوبية بحثًا عن الحبوب الغذائية والخُضر والفاكهة والملبوسات، كما أن البجاه كانوا في أمس الحاجة للعمال المصريين للاشتغال في التنقيب والبحث عن المعادن، فهم لا يملكون الصبر على هذه الأعمال. فقد كان العمال يحفرون خنادق كبيرة في الأرض تسمى شَّيَمُ(٢٨) وقد يستغرق حفرها فترة طويلة كما يتطلب مجهودًا كبيرًا، وهذا يتوقف على نوع التربة التي يحفرونها فإن كانت تربتها رملية كان الحفر ميسورًا وإن كانت – التربة– طينية أو صخرية فإن حفرها يتطلب مجهودًا أكبر ويستغرق فترة زمنية أطول مثلما الوضع بأرض البجة. بالإضافة لذلك فإن العمال كانوا يدخلون إلى مغارات مظلمة تتطلب منهم الدقة والصبر. ولذلك سميت هذه المناجم بأسماء قبائل عربية وضعت يديها عليها أو سكنت بجوارها مثل كلب وعجل وكاهل وبطون جهينة (العرب القحطانيين) وبنى سليم (العدنانيين) وغيرها (٢٩).

---

٢٧) والدليل على ذلك عند دخول عمرو بن العاص مصر وقيامه بمحاصرة ابنة المقوقس أرمانوسة حاكم مصر في مدينة بلبيس، طلب الحاكم البيزنطي المساعدة من البجة ولكنهم لم يساعدوه بحجة= =دخولهم في حروب مع النوبيين في حين أن النوبيين قد ساعدوه. (عبد الله بن عمر الواقدي، فتوح الشام، الجزء الثاني، دار الجيل (د.ت)، ص٤٧).

٢٨) الأرضُ تبقى على صلابتِها دونَ أَن يُحْفَرَ فيها.

٢٩) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٥-١٩/ ربيع القمر الحاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص٨٦-٨٨.

وثالثاً: حاجة المصريين لأرض البُجة فهي أرض المعادن،حيث إن أشهر مناطق تعدين الذهب تتوفر ببلاد البُجة، ولذلك كانت مناطق جذب لهم، وكان ذلك هو محور العلاقات بين المصريين والبُجاه التي يسودها التوتر في منطقة الحدود الأمر الذي ظل يهدد الطريق التجاري القديم الواصل بين شمال وادي النيل وجنوبه، ولم يكن الأمر مقتصرًا على الذهب فقد شمل معدن الزمرد الذي كان يُصدر إلى سائر بلدان العالم، والزمرد الذي متوافرًا بأربعة أنواع الأول يُعرف بالمر والثاني يُعرف بالبحري و الثالث يُعرف بالمغربي والرابع يُعرف بالأصم[٣٠].

وقد زاد من الحاجة إلى الذهب والأحجار البيجية تَشبه الخلفاء – خاصة خلفاء الدولة العباسية– بالفرس لتزين بلاطهم وقصورهم[٣١].

مما سبق يتضح لنا الأهمية الكبرى لأرض البُجة التي لم يُقدر شعبها قيمة هذه الثروة ويفتديها غيرهم بكل ما يملكون،رغم اعتقاد البُجاه أنهم يقدرون أهميتها وقيمتها وهذا غير صحيح فكل دورهم مقتصر على حراسة هذه الأرض دون رعايتها فالصاحب الحقيقي لثروة أرض البُجة ليس لمن يعيش عليها ولكن لمن يستطيع استخراج ما فيها ويتحمل الكثير من الصعاب والأهوال.

لماذا اختار العرب الهجرة إلى بلاد البجة ؟ وكيف تعرف المصريون على بلاد البجة ؟.

اختار العرب البُجة بالذات لتوافر عاملين مهمين وهما: الأول أنها مناطق نائية وبعيدة عن يد السلطة الحاكمة مما جعلها آمن الأماكن بالنسبة لهم وهذا أول شيء بحث عنه العرب، الثاني معرفتهم بهذه البلاد من قبل بسبب التجارة. وقد بدأت الهجرة زمن الأمويين خاصة بعد سقوط الدولة الأموية ١٣٢هـ/٧٤٨م وهم بذلك يعتبرون الرواد الأوائل الذين هاجروا إلى بلاد البجة، وقد زادت الهجرة العربية في مصر في زمن العباسيين خاصة عهد المعتصم (٢١٨–٢٢٧هـ/٨٣٣–٨٣٣م) بسبب ضعف الخلافة العباسية لسيطرة العنصر

٣٠) لمزيد من التفاصيل انظر المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ١٥–١٩؛ ربيع القمر الحاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص٨٦–٨٨.

٣١) أحمد بن أبى يعقوب "اليعقوبي"، كتاب البلدان، طبع ليدن، ١٨٩١، ص١٢٠.



التركي عليها وانفصال الولايات الإسلامية عنها وأيضًا قرار المعتصم بإسقاط العرب من ديوان العطاء لإثبات الجند الأتراك في الديوان، وكان القرار نقطة تحول خطيرة في تاريخ العرب في مصر وهجرتهم إلى الجنوب والغرب لإصلاح أحوالهم السياسية والاقتصادية بعيدًا عن سلطة الأتراك. فقد كانت المأوى والمنقذ للعرب في تلك الفترة خاصة. وأن القبائل العربية وعلى رأسها قبيلة ربيعة "حنيفة"[٣٢] قد وجدت فرصة كبيرة للعمل في مجال التعدين ببلاد البجة. وقد استطاعت هذه القبيلة الانفراد بالتعدين دون غيرها بعد أن اشتدت شوكتهم على العرب نتيجة لمصاهرتهم البجة بجانب كثرة عددهم في المنطقة[٣٣]. وأيضًا نزحت قبيلة جهينة[٣٤] لبلاد البجة من أجل التجارة عقب الفتح العربي لمصر،وكان لهم فضل نشر الإسلام بينهم،كما عبرت جماعات من عرب هوازن[٣٥] إليها واستقرت بها وعرفوا الحلانقة[٣٦].

---

٣٢) هم أبناء حَنِيفة بن لُجيم بن صَعب من أهل اليمامة، وكانوا من أقوى القبائل العدنانية وأكثرها عددًا في بلاد العرب وموطنها الأصلي بالحجاز وهضاب نجد وأرض تهامة، وفى منتصف القرن الثالث الهجري هاجروا لمصر واندفعت بطون منهم للجنوب للعمل في المعادن. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٩١/مصطفى محمد مسعد، المكتبة السودانية، ١٩٧٢، ص١٥).

٣٣) عصام محمود عثمان، الهجرات العربية لبلاد البجة (٣-٦هـ/٨١٥-١٢٠٣م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٧، ص٧٨-١٠٠.

٣٤) جهينة القحطانية عاشت حول ينبع منذ القرن الأول الهجري، ثم دخلت مصر منهم جماعات كثيرة مع الفتح العربي لها. ثم توالت هجراتها إلى مصر، ومنذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) توالت هجرتها جنوبًا إلى بلاد النوبة وأوطان البجة، اشتركوا مع ربيعة في حملة العرب على البجة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. (الكرياسى، معجم المشاريع الحسينية، ص٢٤).

٣٥) بنو هوازن بن منصور بن عِكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان. (أبو محمد على بن أحمد بن حزم الأندلسي "٤٥٦هـ"،جمهرة أنساب العرب، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم دار الكتب العلمية،ص٢٦٤).

٣٦) ويذكر بعض المؤرخين أن الحلانقة هم أول من استقر من العرب المسلمين في الوطن البجاوي، ولكن هناك هجرات كثيرة سبقتهم، فقد جاء من قبلهم في القرن السادس الحضارمة من حضرموت، واختلطوا بالبجة وحُرّف اسمهم إلى الحدارية. (مصطفى محمد سعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى،الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١١، ص١٢٠-١٢١/ بشار الملاح، التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي، ص٦٠).

كانت أول معرفة لولاة مصر ببلاد البجة عندما التقوا بهم على شاطئ النيل في ولاية عبدالله بن سعد بن أبى السرح(٣٧) وسأل عن خبرهم؟ فقالوا إنهم شعب ليس لهم ملك يرجعون إليه، من هنا هان عليه أمرهم ولم يهتم بهم وتركهم(٣٨) ومن هنا كانت بداية المعرفة السطحية بشعب البجة. فقد استقر في نفوس العرب في المرحلة الأولى من مراحل التوسع الإسلامي أن ديار البجة ليست دار حرب، كما اعتبر المسلمون هذه المنطقة غير مهمة سياسيًا، ولم يفطنوا لما لديهم من كنوز يسهل استغلالها تجلس فوق الشلال الأول للنيل، ولم يكن عدم الاكتراث بهؤلاء القوم في مصلحة المسلمين، فبعد فترة من الزمن تتجاوز ثلاثة وسبعين عامًا حدث ما هو غير متوقع فقد قام البجاة بالإغارة على صعيد مصر عام ١٠٧هـ/٧٢٥م، وربما كان السبب في هذه الإغارة تفسيرهم بُعد العرب وعدم دخولهم في حرب معهم بضعف المسلمين وعدم استطاعتهم الدخول معهم في اشتباك حربى، لذلك أغاروا على المصريين.

وفي عهد والى مصر عبيد الله بن الحبحاب السلولي القيسي(٣٩) عقدت أول معاهدة للصلح مع البجة وترتب على هذه المعاهدة السُماح للبجاه بدخول مصر

---

٣٧) عبد الله بن سعد بن أبى السرح القرشي العامري من بنى عامر بن لؤى من قريش فاتح إفريقية وفارس بنى عامر. (ابن وصيف شاه، جوهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور المعروف بفضائل مصر وعجائبها، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، ص٣٦).

٣٨) يقال: إن العرب وصلوا إلى النوبة والبجة قبل وصول عبد الله بن سعد بن أبى السرح. لكن هذه القصة مشكوك فيها.

Sir John Linton Myres, Percy Edward Newberry, John Percival Droop, Annals of Archaeology and Anthropology, University Press of Liverpool, 1937, v, 24, 25, p,94.

٣٩) عبيد الله بن الحبحاب كان كاتبًا لهشام بن عبد الملك، ثم ولاه إمرة مصر ثم ولاه إفريقية، من أبرز أعماله بناء أو تجديد بناء جامع الزيتونة.

أبوالقاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر "ت٤٩٩هـ-٥٧١هـ" تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبى سعيد عمر العموري، الجزء السابع والثلاثون، دار الفكر، ص٤١٥.

للتجارة بشرط ألا يقيموا فيها، وظلت هذه المعاهدة قائمة زهاء قرن من الزمان عندئذٍ اتصل بهم المسلمون اتصالًا وثيقًا، وبدأوا يرحلون إليهم من أجل التجارة والحج مرورًا بأرضهم، بل وصل الأمر ببعض المسلمين إلى الاستقرار في أرض البجة منقّبين ومستخرجين للذهب والزمرد[٤٠].

ويجب علينا أن لا نغفل هذه الفترة؛ لكونها بداية تطلع كل منهما للآخر واهتمامه باستقرار كل منهما في بلد الآخر، ويتضح لنا من هذه المعاهدة أنها حدت من غارات البجة ولو لفترة كما أنها فتحت باب الهجرات إلى الجنوب، لكن الأهمية الحقيقية لهذه المعاهدة تكمن في كفالتها الحرية المطلقة في الانتقال أو الإقامة بأرض البجة، والأكثر من ذلك أنها أجبرت ملك البجة ورعاياه على المحافظة على أرواح المسلمين وأموالهم بأرضهم. ولكن حدث ما هو غير متوقع بقيام البجاة بنقض عهدهم مع المسلمين، وتعرضهم للمسلمين في بلادهم بالإزاء بل وصل الأمر بهم إلى الإغارة على نواحي أسوان عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م، فرفع ولاة الأمور في أسوان خبرهم إلى الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ) الذي أمر بتجهيز حملة عسكرية بقيادة والى مصر عبد الله بن الجهم (١٨٨- ٢٤٩هـ/٨٠٣-٨٦٣م)[٤١] والذي نجح في غزو بلادهم وإجبارهم على الخضوع للمسلمين بقيادة زعيمهم كنون بن عبد العزيز Kanon[٤٢]

---

٤٠) المقريزي، الخطط،ج١، ص٣١٨-٣١٩؛ كرم الصاوي، مصر والنوبة في عصر الولاة دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردى العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢٩٥-٣٠٠، أشرف محمد عبيد، قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني، المكتب العربي للمعارف،ص٨٧.

Karen C. Pinto, Medieval Islamic Maps: An Exploration, University of Chicago Press, 2016, 195. P.44.

٤١) قائد من قواد الخليفة المأمون العباسى "ت٢١٨" (المقريزى، المواعظ، ج١، ص١٩٥).

٤٢) كنون بن عبد العزيز "٢١٦-٢٣٢هـ" من قبيلة البلو "الحمريون" وهو الذي وقع مع المسلمين، وهو رئيس قبائل البجة زمن المأمون العباسي والذى وقع هدنة مع المسلمين عام ٢١٦هـ تعهد فيها الجانبان بتوفير الأمان وحسن الجوار، والذي ظل على مسيحيته رغم اسمه العربي. (محمد صادق الكرياسى، معجم المشاريع الحسينية، ج٢،ص٢١).

بموجب معاهدة يخضعون فيها للخليفة العباسي، كان من أهم بنود تلك المعاهدة أن بلاد البجة من حدود أسوان إلى حد ما بين دهلك(٤٣) وباضع(٤٤) مِلكُ للخليفة العباسي، وهذه أول مرة يكون فيها منطقة بالسودان مِلكًا للمسلمين، فقد كانت طوال تاريخها مستقلة سياسيًا واقتصاديًا، وترتب على ذلك أن كَثُر المسلمون في المنطقة بسبب بقاء العناصر التي اشتركت في حملة ابن الجهم بالبجة حيث بهرتهم معادن الذهب، وخالطوا البجاه وتزوجوا منهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب(٤٥).

وكان من المتفق عليه أن يؤدى ملك البجة كل عام مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار لبيت المال. وأن يحترم البجة الإسلام ولا يذكروه بسوء، وألا يقتلوا مسلمًا أو ذميًا حرًا أو عبدًا في أرض البجة أو مصر أو النوبة، وألا يُعينوا أحدًا على المسلمين. وإذا دخل أحد من المسلمين في بلادهم للتجارة أو الإقامة أو مجتازًا للحج فهو آمن حتى يعود. وإذا دخل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجارًا لا يظهرون سلاحًا ولا يدخلون

---

٤٣) أرخبيل دهلك هذه المنطقة بها ١٢٦ جزيرة تشتهر هذه الجزر بصيد اللؤلؤ أربع جزر فقط تسكن ويشكل دائم وهى دهلك الكبرى وهى الأكبر ونهلق ونورا وحرمل وسكانها يمتهنون صيد الأسماك واللؤلؤ والوصول لها عن طريق مصوع. (معجم المشاريع، ج٢، ص١٧).

٤٤) باضع جزيرة في بحر اليمن تأتيهم الحبشة بأنياب الفيل وبيض النعام وغير ذلك مما يكون في بلادهم فيبيعون ويشترون من أهل باضع القُسط والأظفار والأمشاط . (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي "ت٦٣٦هـ"،معجم البلدان،ج٢،طبع ليزج، ١٨٦٦،ص٤٧١٩).

٤٥) الحضارمة من حضرموت جاءوا من بلاد العرب في القرن السادس الميلادي كانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبهًا ببعض البجة، اعتنق الحدارية الإسلام في القرن الرابع الهجري، ولعلهم ينسبون لحمير بن سبأ، ولا يبعد أن يكون الحدارية عناصر شتى من أعقاب سبأ نزحوا إلى البجة قبل مجيء ربيعة بزمن طويل وعندما صار لربيعة نفوذ في بلاد البجة كان الحدارية قد توطنوها وصاروا من أهلها فعدوا طائفة من البجة. (مصطفى مسعد،المكتبة السودانية، ص١٩٩).

المدائن والقرى. ولا يهدموا شيئًا من المساجد التي ابتناها المسلمون. وكان على كنون أن يُدخِل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة [٤٦].

بذلك أصبحت البجة جزءًا من الدولة الإسلامية رغم أن الدولة الإسلامية لم تفرض سيطرة سياسية وإدارية مباشرة على بلاد البجة واكتفت بالسيادة الاسمية عليها. مما أدى إلى توافد جماعات من ربيعة وجهينة على أرض البجة بعد وصولها أخبار المعادن، وقد تأثر العرب بالبجة كما تأثر البجة بالعرب [٤٧].

مصر ومواجهة التحدي:

هذا التحدي واكب فترة العصر العباسي الثاني (عصر نفوذ الأتراك) (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧ -٩٤٦م) فقام البجه بعد وفاة ملكهم كنون بن عبد العزيز وتولى على بابا وهو أولباب(٢٣٢-٢٤١هـ)[٤٨] بنقض المعاهدة مع الخلافة العباسية. والامتناع عن دفع الجزية المتمثلة في أربعمائة مثقال من التبر قبل أن يطبخ ويصفى وخمسمائة نفر من العبيد والجواري وزرافتين وفيلين وأشياء أخرى عام ٢٣٨هـ/٨٥٢م.

وازداد الأمر سوءًا بوقوع خلاف بين بعض القبائل العربية ورجل من البجة، وقيام البجاوى بسَب النبي ρ وقتل المسلمين الذين كانوا يعملون لديهم في مناجم الذهب والفخار عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م، والتأكيد بشدة على أنهم هم المُلاك الوحيدون لمناجم الذهب.

---

٤٦) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣١٨-٣١٩/ كرم الصاوي، مصر والنوبة في عصر الولاة دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردى العربية،مكتبة الأنجلو المصرية،ص٢٩٥-٣٠٠ /أشرف محمد عبيد، قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني، المكتب العربي للمعارف، ص٨٧.

Karen C. Pinto, Medieval Islamic Maps: An Exploration, University of Chicago Press, 2016,195.P.44.

٤٧) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١، ص١٢٠-١٢١.

٤٨) على بابا زعيم البجة من قبيلة بلى، كان يسمى أولباب وتعنى البشارة أو الخير باللغة البجاوية. (الكرياسى، معجم المشاريع، ج٢، ص١٨).

إضافة إلى قيام البجاة بسبي عدد من ذراريهم ونسائهم، والقيام بثورة عارمة وغارة على بلاد الصعيد.كما قاموا بنهب القرى والبلدان المتطرفة؛ فنهبوا إسنا وأسوان وظواهرهما رغم كونهم في أمن ومنعة في الصحراء.

عندئذٍ- عند وصول البجة لهذا الحد من العدوان لمدة عاميين- قام عُمال الخراج بهذه المنطقة بإبلاغ والى مصر عَنبسة بن إسحاق الضبى[٤٩] الذى لم يستطع كتم هذا الخبر عن المتوكل وقام بإبلاغه على الفور بواسطة عامل البريد بمصر يعقوب بن إبراهيم الباذغيسى[٥٠].

وعندما علم الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) أنكر على ولاة المنطقة تفريطهم؛ فشاور رجال دولته من أرباب الخبرة بمسالك تلك البلاد،فذكروا له أن أهالي هذه البلاد يتوافر لديهم سببان يحولان دون القضاء عليهم، الأول: أنهم قوم بدو وأصحاب إبل وماشية. والثاني-وهو الأهم-: أنهم يقيمون في مناطق وعرة بعيدة عن العمران وأن الوصول لهم شاق لأن بينهم وبين بلاد المسلمين مسيرة شهرين في أراضي مقفرة وجبال وعرة لا معقل ولا حصن للمسلمين فيها[٥١]. وأن من يدخل هذه البلدان يحتاج للتزود بما يكفيه ومن معه لمدة أشهر حتى يخرج منها،فإن جاوز

---

٤٩) عنبسة بن إسحاق بن شمر بن عبيد من بنى حنبل الضبى أبو حاتم أمير من قواد بنى العباس من أهل البصرة ولاه المنتصر مصر سنة ٢٣٨هـ،فحمدت سيرته. وهو من أجلاء القوم ولى الديار المصرية عشرة أعوام، والعامل على حرب مصر. (الطبري تاريخ الرسل، ج٣، ص١٤٢٨/خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الجزء الخامس، دار العلم، بيروت، ص٩١).

٥٠) ولاه المتوكل بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب وهو مولى الخليفة الهادي والمعروف بقوصرة. (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري "ت٣١٠ هـ"، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث من القسم الثالث طبع ليدن، ١٨٨٣-١٨٨٤م،ص١٤٢٨/ أبو المحاسن جمال الدين بن تغرى برى "ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م"، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثاني،دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٩٣).

٥١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص١٤٢٨/عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأثير "ت ٦٣٠هـ"، الكامل في التاريخ، ج٢، ليدن ١٨٧١، ص٥٦٧/ ولمزيد من التفاصيل انظر ركن الدين المنصورى بيبرس الدوادار "ت ٧٢٥هـ"، الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٤، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، رقم٢٤٠٢٧ ص١٨١-١٨٢٩).

تلك المدة هلك وأخذته البجة، كما تحكى لنا الرواية التي تتسم بالمبالغة أن تلك الطائفة البجاوية عندما يطرقهم طارق من جهة البلاد الإسلامية طلبوا النجدة ممن يجاورهم من طريق النوبة، والنوبيون يطلبون النجدة من ملوك الحبش، وهى ممالك متصلة بشاطئ نهر النيل حتى تنتهى بجبل القمر الذى ينبع منه النيل، وهى آخر العمران من كرة الأرض[٥٢].

معنى ذلك أن العرب عندما يقررون النزول أرض البجة لابد أن يكونوا على استعداد حربى تام؛ لأنهم لا يحاربون قوة واحدة بل قوى مختلفة متمثلة في البجاه والنوبيين والحبش؛ لصلتهم القريبة ببعضهم البعض.

حملة محمد بن عبدالله القمي على بلاد البجة ٢٤١هـ /٨٥٤م:-

أثارت الأنباء السابقة مخاوف الخليفة العباسي المتوكل وجعلته يُمسك عن التوجيه لهم وبالتالي فَترت عزيمته وضعفت؛ الأمر الذي أدى إلى طمع البُجاة وزيادة شرهم وجُرأتهم على المسلمين؛ فخاف أهل صعيد مصر على أنفسِهم وذراريهم، واستغاثوا بالخليفة، حينئذٍ تشجع محمد بن عبدالله القمي[٥٣] أحد القادة والذى أظهر استعداده لوزير المتوكل – الفتح بن خاقان[٥٤] – لمُحاربة البُجة وقال: إنه على أتم الاستعداد للإطاحة بهم، وعلى الفور كتب الخليفة إلى والى مصر عنبسة بن إسحاق آمرا إياه

٥٢) أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، ص٢٤.

٥٣) محمد القمي: من ولد موسى الأشعري، قائد شجاع يتولى خفارة الحج. (ابن حوقل النصيبى، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، ص٥٧).

٥٤) الفتح بن خاقان، حسن الخلق كامل المروءة من بيت علم ونباهة وفضل، ولد سنة ٤٣٩هـ وتوفى سنة ٥٠٨هـ. (أبو النصر الفتح بن محمد بن خاقان الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق هدى شوكت بهنام، دار الكتب العلمية، ص٨٧).

بإعطاء القمي كل ما يحتاج من الغلال والجند والشاكرية[٥٥] المقيمين بمصر، كما طلب منه أن يُعين القمي واليًا على الصعيد الأعلى[٥٦] يتصرف فيه كما يشاء .

وبالفعل قدم القمي على عنبسة وأمده بكل ما يحتاج وتوجه لأرض البجة عام ٢٤١هـ/٨٥٤م وتبعه عرب ربيعة ومُضر[٥٧] واليمن – القحطانيين- ممن يعمل في المعادن ومن المتطوعين أُناس كثيرون بلغت عدتهم نحو العشرين ألفًا ما بين فارس وراجل، وحمل له في البحر سبع مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويقة والشعير وأمر أصحابه أن يوافوه بها في ساحل البحر مما يلى بلاد البجة،ومضى حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها الذهب،وصار إلى حصونهم وقلاعهم،وهناك علم الملك البجاوي بقدومهم فخرج إليهم في جيش كبير أضعاف جيش القمي،وهم على إبل وقرة تشبه المهارى فهاب المسلمون[٥٨].

وهنا وضع كل من الطرفيين خطة لمُحاربة الآخر؛ فكانت خطة ملك البُجة مطاردة القمي وجنوده لفترة طويلة وبالتالي تنفد أزوادهم وتضعف خيولهم ويموتوا هزلًا فيأخذه البُجة؛ فلما توهم عظيم البجة أن الأزواد قد نفذت أقبلت المراكب السبع التي تركها القمي بالبحر واصطحبها إلى قواته، فلما علم رئيس البجة قام على الفور بجمع قواته وعزم على محاربتهم[٥٩]، فانتهز القمي فرصة خوف وهلع الإبل التي يحاربون عليها وبدأ ينفذ خطته، فجمع أجراس الإبل والخيل التي كانت في معسكره وجعلها في

---

٥٥) فرقة من الجند ظهرت في القرن الثالث الهجري وهم من الخدم المؤهلين لحماية سادتهم وأنهم قريبون من الجند. وهم الأعوان .(ياقوت الحموي،معجم الأدباء، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ص٥٤).

٥٦) منطقة تقع في الجزء العلوي من أراضي نهر النيل في مصر .

٥٧) مُضَرْ بن نزار بن مَعْد بن عدنان. (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٨٠).

٥٨) لمزيد من التفاصيل انظر: أبو المحاسن"ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م"، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الجزء الثاني،ص٢٩٦ .

٥٩) لمزيد من التفاصيل انظر: أبو المحاسن"ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م"، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الجزء الثاني،ص٢٩٦ .

أعناق الخيل، ثم حمل على البجة فنفرت إبلهم، وحملت أصحابها على الجبال والأودية فمزقتهم كل ممزق، كما أكمل خطته بشغل الباقون من البجة بكتاب طويل كتبه في طومار – صحيفة – ولفه بثوب، فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتلوا كبيرهم،كما تعقب القمي الفارّين إلى الجبال والأودية وقتلوهم وأسروهم حتى أدركهم الليل، فرجعوا إلى معسكرهم ولم يقدر القمي على إحصاء القتلى لكثرتهم، وهذا دليل على حنكة وذكاء القمي الحربية(٦٠) .

وهنا طلب البجة الأمان من المسلمين على أن يذهب كبيرهم إلى الخليفة العباسي ببغداد ٢٤١هـ/٨٥٤م فأمّنه القمي على أن يؤدى ما عليه من خراج للمسلمين خاصة المدة التي منع المسلمين منها– وهى أربع سنين–، وهنا سار ملك البجة إلى بغداد وقدم على المتوكل واشترط عليه أن لا يمنع المسلمين من العمل في أرض المعدن.و من ثم عيّن المتوكل واليًا(٦١) من قِبله على البجة والذى ولى القمي (٢٤٢–٢٤٥هـ/ ٨٥٥–٨٥٨م) وبذلك يكون أول والٍ مسلم معين من قبل الدولة الإسلامية وبذلك نستطيع أن نقول: إن الدولة الإسلامية فرضت سيطرتها– الإدارية والسياسية – المباشرة على بلاد البُجة(٦٢).

---

٦٠) المقريزي،المواعظ والاعتبار، المجلد الأول،ص١٩٥–١٩٦/ أبو العباس بن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ص٣٣٣–٣٣٥/ ابن تغرى بردى،النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٤/ عبد الغنى عبد الفتاح زهرة، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا وأحوال المسلمين بها، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ص١٣٦).

٦١) مسعد الخادم الإيتاخى. (المقريزي، المواعظ والاعتبار، المجلد الأول، ص١٩٥–١٩٦).

٦٢) المقريزي،المواعظ والاعتبار،المجلد الأول،ص١٩٥–١٩٦/أبو العباس بن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف،بيروت، ص٣٣٣–٣٣٥/ ابن تغرى بردى،النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٤/ عبدالغنى عبد الفتاح زهرة، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا وأحوال المسلمين بها، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ص١٣٦).

وعلى الفور اختار القمي شيخ قبيلة ربيعة[٦٣] نائبًا له بناءاً على طلب من العباسيين؛ فقد كانت الدولة العباسية فيما يبدو تعتبر تواجد الربعيين في تلك البلاد هو مظهر للنفوذ العربي، وكان الربيعيون يستغلون هذا الامر لجعل الدولة الحاكمة تُساندهم في التمرد ضد جيرانهم البجاويين، لا من أجل الحد من خطر البجاويين على الأراضي الإسلامية ولكن من أجل وضعها تحت سيطرتهم وحكمهم، ومما يثبت لنا: أنه بمجرد تعين القمي لشيخ قبيلة ربيعة استغل المنطقة وحارب القمي نفسه بسبب ازدياد نفوذه وتولِّيه حكم البجة رسميًا من قبل العباسيين، ويبدو أن هذا الأمر لم يناسب الربعيين وشيخهم في تلك المنطقة؛ فاستغلوا فرصة قيام القمي باعتقال صاحب العلاقي[٦٤] الذي مس الناس بالجور ورُفع الأمر للقمي فقبض عليه وحبسه فترة طويلة ثم أطلق سراحه، الأمر الذي أغضب مناصرية من ربيعة، وقيل للقمي: إن شيخ قبيلة ربيعة يريد قتلك: فقال "لأن يلقى الله بدمى أحب إلى من أن ألقاه بدمه" فقتله أشهب في عام ٢٤٥هـ /٨٥٨م وملك بلاد البجة بالزواج من أميرات البيت الباجي .وبعد مقتل القمي تولى رئيس ربيعة الحكم مرة ثانية في الفترة من ٢٤٥-٢٥٥هـ/٨٥٨-٨٦٨م[٦٥].

عندئذٍ زالت سيادة الدولة العباسية على بلاد البجة بمقتل القمي وفى مقتله دلالة على ازدياد نفوذ ربيعة في المنطقة بدرجة كبيرة حتى استطاع أن يقوم بقتل ممثل الدولة العباسية في المنطقة، وظل هذا الرجل رئيسًا لبلاد البجة حتى قُتل على يد العمرى[٦٦].

---

٦٣) أشهب (٢٣١-٢٤٢هـ). المقريزي، المواعظ والاعتبار، المجلد الأول، ص١٩٥-١٩٦

٦٤) أبو بكر إسحاق بن بشر. المقريزي، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦

٦٥) المقريزي، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦؛ محمد صادق محمد الكرياسى، معجم المشاريع الحسينية، دائرة المعارف الحسينية، ج٢ ،٢٠١٠، ص١٩-٢٢.

٦٦) المقريزي، المواعظ والاعتبار، المجلد الأول، ص١٩٥-١٩٦/ محمد صادق محمد الكرياسى، معجم المشاريع الحسينية، دائرة المعارف الحسينية، ج٢، ٢٠١٠، ص١٩-٢٢.

ومما سبق يتضح لنا هنا أن مقتل القمي على يد القبائل العربية يعتبر رفضًا منهم لسيادة الدولة الإسلامية المتمثلة في الدولة العباسية لما تحوية البجة من ثروة حقيقية في باطنها يودون الاستفادة وحدهم دون غيرهم من هذا الثراء دون شريك آخر، كما يعتبر دليلًا على سخط وغضب العرب من الدولة العباسية بسبب سيادة العناصر الأخرى عليهم، كالفرس والترك.

وإذا نظرنا لهذه الأحداث نجدها ذات فائدة كبرى للمسلمين؛ فقد وطدت أقدامهم في بلاد البجة وأقرت حقوقهم بها، فأصبح العرب متمتعين بحماية الدولة الإسلامية وحُمل البجة على احترام عهودهم مع المسلمين بعد أن ظنوا ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على التوغل في بلادهم؛ فكانت حملة القمي لتخييب ظن البجة وتمكين المسلمون في بلادهم وكثرة هجرتهم إليها خاصة بعد استقرار المسلمين هناك ومعرفتهم بالمعادن [٦٧]. ولم تكن حملة القمي آخر حملات مصر الإسلامية إلى تلك البلاد.

حملة عبد الرحمن بن عبد الحميد العُمرى على بلاد البُجة في عام ٢٥٥هـ/٨٦٨م وآثارها :

أعدت حملة ثانية على بلاد البُجة في عصر الطولونيين (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م) بقيادة عبد الرحمن بن عبد الحميد العمرى[٦٨] في عام ٢٥٥هـ/٨٦٨م والسبب في ذلك قيام البُجة بقيادة رئيسهم الأعور كلاز[٦٩] بغارة مفاجئة على مصر وأهلِها

---

٦٧) ابن سليم الأسوانى، أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، ص٢٦٩؛ نهى حمدنا الله مصطفى، علاقات البجة العسكرية والسياسية مع مصر الإسلامية (٢١-٥٧٦هـ)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ٢٠١٥م، ص١٨.

٦٨) ولد العمرى في المدينة المنورة وترعرع فيها ثم رحل إلى الفسطاط واشتغل بتدريس الحديث ومنها إلى القيروان ثم عاد لمصر، وهناك وصلته أنباء الذهب بالبجة فسال لعابه وهنا تحول من رجل دين إلى مغامر كبير. (المقفى،ج٤،ص١٦٤).

٦٩) كلاز: – رجل أعور من البجة شجاع يقال أنه يملك جمل ما سمع بمثله في السرعة. ابن سليم الأسوانى، أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل،ص٢٦٧- ٢٦٩.

أسفرت عن كثيرٍ من قتلى المسلمين أثناء تأديتهم لصلاة العيد، وكان من عادة أمراء المسلمين إذا خرجوا للصلاة بالمصلى أوقفوا جيشًا عند سفح جبل المقطم ليراعي الناس حتى ينصرفوا من الصلاة خوفًا من البجة، فقد انكبوا على المسلمين وقتلوا منهم الكثير وسبوهم ونهبوهم ثم عادوا إلى بلادهم، وكان هناك سبب آخر وراء حملة العمرى يتمثل في الكشف عن مناطق جديدة لمعدن الذهب في أرض البجة، والبحث عن مهاجر جديدة تتسع لهم بعد أن ضاقت بهم مصر(٧٠).

البجة يؤدون الجزية للعمرى:-

وأتيحت لهم الفرصة مع حملة أبى عبد الرحمن عبد الله العمرى فقد تحرك العمرى إلى أرض المعدن بعد شرائه العبيد للعمل في المعادن وسار إلى هناك مبيناً أن غرضه الأساسي هو التجارة،ومنذ أن وطئت أقدامه أرض المعدن ووجد المنطقة خالية من أي نفوذ يمثل الدولة الإسلامية، أينعم يسكن المنطقة قبائل عربية كثيرة ولكن تنعدم بينهما الوحدة وتتازعها الأطماع في السيطرة على أرض المعدن وأكبر دليل على ذلك الصراع بين المُضرية والربعية بسبب قتل رجل من مضر وهذه الحادثة مهمة جدًا لتاريخ العمرى في البجة، وهى توضح نقطتين هامتين جداً، الأولى: الخلاف بين القبائل العربية في هذه المنطقة وعدم وحدتهم. والثانية: أن هذا الصراع تسبب في جعل العمرى كبيرًا عليهم؛ حيث إنه نشب صراع بين الفريقين واجتمعوا لحل الخلاف دون حضور العمرى مما أدى لغضبه ورحيله عنهم؛ فلحقه جماعة منهم لإرضائه، والحلف على عدم الخلاف عليه وعدم البت في أمرٍ إلا بمشورته. وهذا ما كان يرمى إليه العمرى فقد كان على يقين بنزاع ومنافسة العرب على أرض البجة، كما أيقن بحاجة القوم إلى رئيس يعدل بينهم.

---

٧٠) ابن سليم الأسوانى، أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل، ص٢٦٩؛ نهى حمدنا الله مصطفى، علاقات البجة العسكرية والسياسية مع مصر الإسلامية (٢١-٥٧٦هـ)، مجلة بحوث الشرق الأوسط، ٢٠١٥م، ص١٨.

قام العمري بانتهاز فرصة قَسَم المضرية له، واعتبر هذا اليمين بمثابة بيعة له فصار رئيسًا على قبيلة مضر والقبائل العربية الأخرى، ومن الواضح أنه كان يهدف إلى إقامة إمارة عربية في تلك المنطقة، ويُحسب له وضع نواة هذه الإمارة العربية التي انتقلت زعامتها إلى ربيعة "وكانت أول إمارة عربية إسلامية زمن الفاطميين"، والمهم هنا عودته معهم إلى أماكن استقرارهم وأوقف بينهم الدم والسلاح والحرب واستجابوا له(٧١).

من هنا بدأ العمرى في العمل على تأديب البجويين ورئيسهم الأعور لمهاجمتهم الحدود المصرية وكمن لهم بقواته ونجح بإلحاق الهزيمة بهم وقتل رئيسهم ومن معه ثم اتجه بعد ذلك إلى أرض البجة، فقتل فيهم مقتلة عظيمة وضيق عليهم بلادهم حتى أدوا له الجزية وما أدوها لأحد من قبله(٧٢).

دخل العمرى النوبة وانتصر عليهم ثم كتب لأسوان يطلب منهم المساعدة للخروج لأرض المعدن؛ فخرج إليه رجل يعرف بعثمان بن حجلة التميمي في ألف راحلة ومعهم الجهاز، وتلقاه العمرى وسُر به.

وهنا دخل العمرى في صراع مع ملك النوبة(٧٣)؛ فأرسل لقتاله نيوتى بن قشما(٧٤) وانتهى الأمر بينهما بالصلح، وهذا ما أغضب ملك النوبة فأرسل للعمرى ابنه لمحاربته لكنه فشل في محاولته.

---

٧١) تقى الدين المقريزي، المقفى الكبير،تحقيق محمد اليعلاوى، الجزء الرابع، ص٤٠٤/مصطفى محمد مسعد المكتبة السودانية مجموعة من النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان فى العصور الوسطى طبعة أولى، ١٩٧٢، ص٣٥٦.

٧٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الخامس، ص٢٤٧٩/أبو محمد عبد الله بن محمد البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص٥٣؛ مصطفى مسعد، المكتبة السودانية، ص٣٨-٤٥.

٧٣) جورج بن زكريا يحنس. (المقريزي، المقفى،ج٤،ص٤١١.)

٧٤) ابن أخت ملك النوبة. (المقريزي، المقفى،ج٤،ص٤١١.)

وعندما فشل ملك النوبة فى القضاء على العمرى لجأ لمحاولة أخرى؛ فأرسل ابنه الثاني لمصالحته ومحاربة ابن قشما الذى فشل هو الآخر في القضاء على العمرى ووضع يده بيد العمرى .

اعتبر ملك النوبة ذلك خيانة، وطلب من العمرى عدم التدخل في الصراع بينهما فأجابه لذلك، ولكن استطاع ابن قشما الانتصار على ملك النوبة، ثم ارتمى في أحضان العمرى وطلب منه الأمان فأمنه.

عندئذٍ طلب ملك النوبة من العمرى مساعدته فى القضاء على ابن قشما، فوافقه العمرى واختار ملك النوبة أربعة من رجال العمرى الشجعان وقال لهم: إن قتلتم ابن قشما أُعطيتكم وزنه ذهبًا لكل رجل منكم وبالفعل استطاعوا التخلص من ابن قشما وتزوج العمرى من زوجته.

بعد ذلك انقلب ملك النوبة على العمرى ورجاله فقام بمقاتلتهم والانتصار عليهم، وعندما علم بنجاة العمرى كتب له معتذرًا وطلب منه السماح ووعده بعدم العودة لذلك مرة ثانية وطلب منه الرحيل عن بلاده [٧٥].

مما سبق يتضح لنا مدى معاناة العمرى وصموده لتحقيق هدفه، ونجح في ذلك بزواجه من زوجة ابن قشما النوبي حيث أن نظام التوريث عندهم عن طريق زوج الابنة أو ابنها وبذلك يكون العمرى قد وصل للنفوذ والسلطة .

كما يتأكد لنا حقيقة هامة وهى ثراء وغنى هذه المنطقة وأهلها لدرجة أن يكافئ ملك النوبة رجال العمرى بأوزانهم ذهبًا وذلك يدل على وفرة هذه المعدن بصورة كبيرة .واستطاع العمرى بنجاحة وضع يده على جزء من هذا المعدن.

البُجة مسرحاً وهدفاً للصراع العربي:-

يختلف الصراع في تلك المرحلة عنه في غيرها؛ فقد تحول الصراع من صراع نوبي عربي إلى صراع عربي وعربي نوبي؛ فقد وقع كالعادة صراع بين العرب الشاميين والمقصود بهم

---

٧٥) المقريزي، المقفى، ج٤، ص٤١١.

سعد العشيرة[٧٦] أصحاب العمرى وبين قيس بن عيلان خلاف واتهم الشاميون العُمرى بانحيازه إلى القيسيين وأعلنوا الحرب عليه، وهنا علم زكريا بذلك عن طريق جواسيسه عند العمرى، وبدأ يرسل الرسل إلى الشاميين ويطلب منهم الاتيان إليه ويعدهم بأخذ حقهم من العمرى وإمدادهم بكل ما يريدون في حربهم معه وأنجز لهم ما وعدهم وأقطعهم دون الجنادل "جزء من أرضه"[٧٧] الأولى من بلد مريس[٧٨] وما يليها .

حينئذ خاف العمرى وأرسل إلى الشاميين يدعوهم إليه للصلح؛ فأقبلوا إليه وركب العمرى لهم فأوقع بهم وقتل منهم ألفاً وخمسمائة وقبض على من بقى وقطع أيديهم وأرجلهم وتركهم حتى ماتوا، وأقام على بلد مريس، وهنا تخلص العمرى من نصف القوة ويتبقى النصف الثاني المتمثل في النوبيين، وعندما علم زكريا ملك النوبة بذلك سار بجيش عظيم إلى العمرى فانطرد –نُحى – بين يديه ووصل بالقرب من أسوان، حتى تحول الصراع إلى صراع عربي مصري بين والى مصر أحمد بن طولون الذي وصلته أخبار العمرى ونجاحه وازدياد نشاطه في البجة والنوبة؛ فخاف من ازدياد نفوذه في تلك الجهات فيطمع في مصر. لذا أرسل له حملة بقيادة شُعبة بن حركام البابكى خوفًا من اتساع نفوذه؛ فلما قرب من العمرى قال العمرى لأصحابه وكانوا نحو ألف ومائتي رجل: لا تعجلوا؛ فإن هذا الرجل أعجمي وأريد أن أتحدث معه

---

٧٦) قبيلة عربية سميت باسم رئيسها، وهو سعد العشيرة بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب مذحج. (لمزيد من التفاصيل النظر ابن حزم،جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ص٣٨٣٩).

٧٧) الجنادل جمع جندل وهى الحجارة موضع فوق أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة.(الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٢٣).

٧٨) مريس معناها في اللغة القبطية الجنوب، وتنسب لها الرياح المريسية وهى رياح الجنوب الباردة التي تهب على جنوب مصر في فصل الشتاء وهى تقع شمال النوبة. (مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة ص١٠٣،حاشية رقم ٢٣).

بنفسي وسوف أعرف ما عنده ثم اقترب إلى معسكر شُعبه، وقال لهم: إني أريد أن أتحدث مع الأمير بنفسي قبل وقوع الحرب بيننا، عندئذٍ خرج له شعبة؛ فقال له العمرى: إن أحمد بن طولون لم يصله خبري على حقيقته، وقد مُوِّه عليه أمرى، إني لم أخرج أبغى فسادًا وإنما خرجت في طلب أعداء المسلمين، ويقصد بهم البجة حيث إنهم كانوا يشنون غارات على المسلمين في مصلاهم، ولذلك خرجت لهم وحاربتهم حتى أدوا الجزية وقال له العمرى: اكفف يدك عن القتال حتى اكتب إلى أحمد بن طولون وأكشف له عن أمري واكتب له أنت أيضاً وإن قَبِل عذري انصرفت عنى مشكورًا، وإن أمرَك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم؛ فرد عليه شعبه: إنى لست رسول للسلطان "قيوج[٧٩]" ما بيني وبينك غير السيف؛ فرد عليه العمرى: إن الفعل السيء والخلق القبيح لم يصدر إلا منك، وقال لأصحابه: إنه رجل جاهل أحمق وقاتله وانتصر العمرى عليه وهزمه أقبح هزيمة، وغنم ما كان معه وشبع أصحابه بعد جوع واكتسوا[٨٠]. ثم عاد شعبة إلى الفسطاط فأنَّبه أحمد بن طولون وقال: أسأت وأخطأت كنت أمهلته وكتبت إلينا بخبره لترى فيه رأينا لكنك بغيت عليه فنُصر عليك أهمل أحمد بن طولون أمره[٨١].

ثم سار العمرى إلى قرية بشمال أسوان وقد صادف دخوله أسوان خروج ابن الصوفي[٨٢] عام ٢٥٣هـ/٨٦٧م ثائرًا في صعيد مصر على الدولة الطولونية فوجه إليه أحمد بن طولون ابن يزداد أحد قواده، لكن ابن الصوفي ظفر به وقطع يده ورجله وصلبه، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فأرسل له قائدًا آخر هو بهم بن الحسين فالتقيا

---

٧٩) القيوج هو الرسول. المقريزي، المقفى، ج٤، ص٤١١.

٨٠) المقريزى، المصدر السابق، ص٤١١.

٨١) المقريزى، نفسه.

٨٢) إبراهيم بن محمد بن يحي بن عمر بن على بن أبى طالب لقبه ابن الصوفي العلوى الهاشمي. المقريزى، نفسه.

بنواحي أخميم[٨٣]، فهزم ابن الصوفي وقتل خلقًا كثيرًا من رجاله فتفرق أمره وتوجه ابن الصوفي إلى الواحات ثم ظهر بنواحي الأشمونيين[٨٤] فأرسل إليه ابن طولون قائدًا يعرف بابن أبى المغيث فوجد الصوفي قد توغل في المنطقة لقتال العمرى، وهنا دارت معركة بين ابن الصوفي والعمرى التي انتهت بهزيمة ابن الصوفي الذى انسحب لأسوان،وهناك عاث فساداً. وعندما علم أحمد بن طولون بذلك كلف قائده بهم بن الحسين بقتاله وعندما وصل الخبر لابن الصوفي هرب إلى عيذاب وركب البحر لمكة .[٨٥]وبذلك ينتهى الصراع بين العمرى وابن الصوفي .

ثم دخل العمرى أرض المعدن وجرت له حروب كثيرة مع ربيعة في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، ولكنها هذه المرة أشد من الأولى،وسرعان ما دب الخلاف بين القبائل العربية وتفرقت كلمتهم نتيجة للتنافس الشديد بين القبائل في السيطرة على أرض المعدن التي سكنها عدد كبير من الزعامات العربية المتنافسة والراغبة في السيطرة عليها وعلى رأس هذه الزعامات زعامة قبيلة ربيعة[٨٦] وقبيلة قيس[٨٧] وقبيلة جهينة[٨٨] وعرب الشام، وهنا وقعت المنافسة والمنازعة والحرب بين المسلمين ومالت البجة إلى

---

٨٣) مدينة تتبع سوهاج وهى مدينة أصيلة البنيان وعجيبة الشأن بها المعبد المشهور معبد أخميم المبنى بالحجارة. (أسماء أبو بكر محمد، بن بطوطة، ج٣، سلسلة أعلام المؤرخين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص٩٨).

٨٤) كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل. (أحمد حسان، نور العيون في ذكر جرجا من عهد ثلاثة قرون، ١٩٩٨، ص٦٩).

٨٥) وقد قبض عليه والى مكة وأرسله لأحمد بن طولون واعتقله فتاب ورجع عن أعماله،وهنا أطلق ابن طولون سراحه وخرج للمدينة ومات فيها عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م (المقريزي، المقفى، ج٤، ص٤١١).

٨٦) وعليها رجل يعرف بأشهب بن ربيعة من بنى حنيفة بن لُجم بن صعب شيعي، وآخر يعرف إياس بن رَوخ"مناس" (المقريزي، المقفى، ج٤، ص٤١٢).

٨٧) وعليها زعيم يعرف بمحمد بن صريح على حي قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وحلفائهم. المقريزي، المصدر السابق، ص٤١٣).

٨٨) وعليها زعيم يعرف بعثمان بن سعدان وعلى الشاميين رجل من سعد العشيرة. نفسه.

قبيلة ربيعة، واتفقوا معهم وتزوجوا منهم، وبهذا الزواج يختل التوازن القبلي في المنطقة إذِ استقوت ربيعة بحلفائها على بقية القبائل العربية الموجودة في المنطقة.

وهنا خرج أخو العمرى[٨٩] إلى عيذاب ليمتار[٩٠] فاعترضته البجة هو ومن معه فغضب لذلك العمرى وكتب إلى ربيعة يطلب منهم الإنصاف من البجة أو التخلية بينه وبينهم؛ فرفضوا الحالتين، فكتب إلى مُضر فرفضوا، وقام بنو هلال بالعبور من النيل إلى الغرب فارة من مساعدة العمرى، وقام بنو تميم شرقي النيل بمغادرة عملهم في المعادن في تلك الفترة اعلانًا عن رفضهم لمساعدة العمرى،كما رفض المغاربة أيضًا مساعدته، ولم يبق معه غير القليل من مؤيديه؛ فانتهز العمرى فرصة مغادرة المضريين وقام بقتلهم وذبحهم ونشبت الحرب بينهم وقتل من الفريقين ألوف ولهم واقعتان مشهورتان في موضعين، أحدهما مَيزح والآخر كيا[٩١] ثم هَزم العمرى رئيس جُهينة، وبعدها قصد العمرى رئيس ربيعة والمعروف بأشهب وقتله منتهزاً الخلاف الذى وقع بينهما. وقد أدى ذلك إلى غضب المضريين، فأقسم رئيسهم محمد بن هارون على قتل العمرى، وبالفعل بر في قسمه فقتله وحملت رأسه لأحمد بن طولون مع غلامين زعما أنهما قتلاه؛ فدعا أحمد بن طولون بجماعة من الصعيد فتعرفوا على رأسه، وهنا بدأ ابن طولون بسؤال الغلامين عن أمرهما أكان صاحبكما مسيئا لكما؟ قالا: لا؛ فقال: كان يمنعكما رزقكما؟ قالا: لا؛ فقال لهم: فلمَ قتلتماه؟ فقالا: لأننا أردنا بذلك الخطوة عند الأمير والقرب منه؛ فقال: ذاك والله أبعد لكما منى ومن الله –Y– وأمر بضرب أعناقهما فضربتا.

يتضح مما سبق أن أعدادًا كثيرة من عرب ربيعة وجهينة وغيرهم استقروا بالبجة غير أن الشقاق ما لبث أن دب في صفوفهم وبدأ صراع عنيف بينهم جميعاً

---

٨٩) من أمه يُعرف بإبراهيم المخزومي. (المقريزي، نفسه).

٩٠) امتار الرجل لأهله أو لنفسه: جمع الميرة، أي: الطعام. (المعجم الوسيط .ج٢، ص٨٩٣، مادة:"مار").

٩١) على بعد ٣٠ مرحلة من وادى العلاقي. (المقريزي المقفى، ص٤١٢).

بعد موت العمرى على امتلاك المعادن بالعلاقي وتمكنت ربيعة من إخراج من خالفها من العرب خاصة بعد استمالة البجة وتصاهروا معهم .وترتب على ذلك انتشار الثقافة الإسلامية في بلاد البجة، وظهور الإسلام، وهنا اشتد ساعد البجة بعرب ربيعة خاصة في صراعهم مع النوبيين،كما اشتد ساعد عرب ربيعة بالبجة على من خالفهم من العرب وأصبحوا هم أسياد المنطقة فقد تمكنوا من طرد بقية القبائل العربية من المنطقة، ونجحوا بعد ذلك في وضع أساس أول إمارة عربية إسلامية بالتعاون مع قبيلة مضر وتميم،واستولت هذه القبائل على معدن الذهب فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آبارًا، وأخيرًا لابد من توضيح نقطة مهمة ترتبت على التواجد العربي في هذه المنطقة ألا وهى قيام العرب بشراء بقطع من أرض النوبيين واستغلالها لمصالحهم، وتوارث العرب هذه الأرض فيما بعد جيلًا بعد جيل، وأضحى للعرب الحق في الإقامة الدائمة بهذه الأرض، وبالرغم من ذلك إلا أن العرب كانوا يدفعون الجزية إلى ملك النوبة (٩٢). وهذا حفاظًا على مصالحهم الاقتصادية بالمنطقة .

الاستنتاج Conclusion

مما سبق يتضح :-

- إن هذه الفترة الزمنية التي تقرب من حوالى ١٩ "تسعة عشر سنة " فترة قصيرة ورغم قصرها إلا أنها كانت حافلة بكثير من الصراعات.ففي خلال تلك الفترة تعرضت لغزو قبائل البجة ولجرائمهم التي لا تعد ولا تحصى سواء للمسلمين الذين يعملون في أرضهم أو للمسلمين في مصر. كما أنه في تلك الفترة بالتحديد كانت بلاد البجة جزءًا من الدولة الإسلامية حيث أنها كانت تحت سيادة الدولة العباسية من حوالى ٢٣٢هـ حتى عام ٢٤٥هـ.

---

٩٢) المقريزي، المقفى الكبير، ج٤، ص٤١١-٤١٥؛ مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة، ص١٢٥-١٢٨.

- لم نستطع التحدث عن القبائل العربية وصراعها السياسي على بلاد البجة دون الحديث تفصيلًا عن الحملات الإسلامية على بلاد البجة؛ لأن القبائل العربية جزء من هذه الحملات .
- كان لحملات المسلمين على بلاد البجة ردًا على غاراتهم فوائد جمة منها التعرف على المنطقة جيداً والاحتكاك بالمنطقة وشعبها والوصول بهم إلى عقد صلح معهم أثمر هذا الصلح عن فتح تلك البلاد أمام العرب فبدؤوا بالوفود عليها بحثاً عن المعادن واستقروا هناك وتصاهروا مع البجاة ليثمر ذلك التصاهر قوة شوكة البجة بانضمام العرب الوافدين إلى المنطقة إليهم وكذلك وصول العرب إلى السلطة من خلال التصاهر. من هنا نستطيع أن نقول: إن العصر العباسي الثاني كان بداية التغير الحقيقي للبجة لأنه العصر الذى ثبت المسلمون أقدامهم في المنطقة ونقلوا مؤثراتهم إليه.
- تحولت التعددية القبلية العربية في بلاد البجة بمرور الوقت والزمن إلى رئاسات وقيادات وزعامات مختلفة، ترتب على ذلك الصراع السياسي بين بعضهم البعض.
- أصبحت المصالح الاقتصادية للقبائل العربية في المنطقة فوق رابطة الدم إذ بسببها ناصرت ربيعة البجة على حساب القبائل العربية الأخرى.
- معظم القبائل العربية التي هاجرت إلى المنطقة جاءت من الحجاز إلى مصر ومنها لبلاد البجة عدا قبيلتي بلى وسعد العشيرة قدمتا من الشام لذا عرفتا في بعض الأحيان بالقبائل الشامية .
- لم تقم الدولة العباسية بأي محاولات لإعادة سلطتها على بلاد البجة، لانشغالها بالإحداث الداخلية بعد مقتل المتوكل.
- ورث المولدون رئاسة البجة وأنشأ هؤلاء المولدون إمارة ربيعة في بلاد البجة.
- ظل البجة علي امتداد تاريخهم الطويل، في عزلة تامة غير خاضعين لأي سلطة مهما كان نوعها أو مصدرها وعندما خضعوا لها كانت جزء منهم ولذلك قبلوها.

والله ولى التوفيق